السـراج البُلقينـي
شيـخ الإسلام ، مجدد القرن التاسـع

هـو الفقيـه الشـافعـي ، الحـافـظ المحـدث ، الأصـولـي المفسـر ، المجتهد ، الذي جمع العلوم العربية والشرعية ، وفاق الأقران ، وانفرد في آخر حياته برياسة العلماء ، ولقب بشيخ الإسلام.

اسـمـه ونـسـبـــه :

هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح ، أبو حفص ، سراج الدين البلقيني ، العسقلاني الأصل ، الكناني القاهري المصري.

ولادتـــه ونـشـأتـــه :

ولد ليلة الجمعة سنة ٧٢٤ هـ/ ١٣٢٤م ببلدة بلقينة (من غربية مصر) ، وكان جده صالح أول من سكنها من آبائه ، ونسب إليها ، وتعلم فيها ، فحفظ القرآن الكريم ، وهو ابن سبع سنين ، ثم حفظ «المحرر» في الفقه ، و«الطافية» لابن مالك في النحو ، و«مختصر ابن الحاجب» في أصول الفقه ، و«الشاطبية» في القراءات ، ثم أقدمه أبوه إلى القاهرة ، وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، نعرض محافيظه على جماعة كالتقي السبكي والجلال القزويني فبهرهم بذكائه وكثرة محفوظه وسرعة فهمه ، ثم رجع به أبوه ، ثم عاد معه ، وقد ناهز الاحتلام ، فاستوطن القاهرة ، وقرأ على أعيان العلماء كالشيخين المتقدمين والعز بن جماعة وابن عدلان والنجم

ابن الأسواني والزين الكناني ، وكان جل انتفاعه في الفقه على شمس الدين بن عدلان ، وشمس الدين بن القماح ، وقرأ الأصول على شمس الدين الأصبهاني ، صاحب التفسير وأخذ عنه كثيراً من العقليات ، وأخذ العربية والصرف والأدب من الأستاذ أبي حيان ، ولازم البهاء بن عقيل وانتفع به كثيراً ، وتزوج ابنته ، وسمع الحديث من خلق ، منهم ابن القماح وابن غالي وأبي الفرج بن عبد الهادي والحسن بن السديد وغيرهم ، وأجاز له بالرواية حافظا دمشق الذهبي والمزي ، وأذن له بالفتيا وهو ابن خمس عشرة سنة ، وأثنى عليه شيوخه ، وهو شاب.

علـومـه:

كان أعجوبة زمانه حفظاً واستذكاراً واستحضاراً ، وجد واجتهد حتى فاق الأقران ، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد ، حتى قيل: إنه مجدد القرن التاسع ، ولقب بشيخ الإسلام ، فكان إماماً في فنون العربية ، وكان عالماً في أصول الفقه ، ويتكلم في التفسير بكلام فائق ، وكان عالماً بالقراءات ، وأصول الدين ، وفي الفرائض ، وكان يقول: ما أحد يقرىء الفرائض إلا وهو تلميذي أو تلميذ تلميذي ، وكان عالماً في معرفة الحديث لكن غيره أشهر منه ، قال البرهان الحلبي: «رأيته رجلاً فريد دهره لم تر عيناي أحفظ منه للفقه وأحاديث الأحكام ، وقد حضرت دروسه كثيراً ، وهو يقرىء في «مختصر مسلم للقرطبي» يقرأه عليه شخص مالكي ، ويحضر عنده فقهاء المذاهب الأربعة ، فيتكلم على الحديث الواحد بكرة إلى قريب الظهر ، وربما أذّن الظهر ، ولم يفرغ من الحديث» ويعقب الشوكاني على ذلك فيقول: «وهذا تبحر عظيم ، وتوسع باهر ، فإن استغراق هذا الوقت الطويل في الكلام على حديث واحد يتحصل منه كراريس ، وقد وقع الاتفاق على أنه أحفظ أهل عصره ، وأوسعهم معارفاً ، وأكثرهم علوماً» ، وكان يتعانى نظم الشعر دون إتقان له.

عمله في الفتيا والتدريس:

أذن له الأئمة بالإفتاء والتدريس ، وعظمه أجلاء شيوخه ، وناب في الحكم عن صهره ابن عقيل ، واستقر في التدريس بجامع عمرو بن العاص أكثر من ثلاثين سنة مع المنازعة فيها ، ودرس التفسير بجامع طولون والبرقوقية ، كما درس في مدارس القاهرة بالبدرية والحجازية والخروبية البدرية والملكية وغيرها.

وكان أول ما ولي من المناصب إفتاء دار العدل سنة ٧٦٥ هـ ، ثم قدم دمشق قاضياً سنة ٧٦٩ هـ فباشر القضاء مدة يسيرة ثم عاد إلى القاهرة ، ثم سافر إلى حلب سنة ٧٩٣هـ صحبة الظاهر برقوق ، ونشر العلم بها ، ثم عاد صحبة السلطان إلى مصر ، فعلا قدره في مجلسه فوق قضاة القضاة ، وحج في سنة أربعين ، وزار المسجد الأقصى ، ثم حج في سنة تسع وأربعين.

وتصدر البلقيني للإقراء ، فقرأ عليه خلق كثير ، وأكثر فقهاء الشافعية بمصر من تلاميذه وتلامذة تلامذته ، ومن تلاميذه ولداه الفقيه عبد الرحمن ، وصالح الذي صار من علماء الفقه والحديث ، وتولى قضاء الديار المصرية ، وجمع فتاوى والده.

واستمر متفرغاً للتدريس والفتوى إلى أن عمر وتفرد ، ولم يبق من يزاحمه ، وكان يحفظ الفقه سرداً ، ومع ذلك لا يحب أن يدرس إلا بعد المطالعة ، وقال عنه صهره ابن عقيل: «هو أحق الناس بالفتيا في زمانه» ، واشتهر اسمه في الآفاق ، وبعد صيته إلى أن صار يضرب به المثل في العلم ، ولا تركن النفس إلا إلى فتواه ، وكان موفقاً في الفتوى ، يجلس لها من بعد العصر إلى الغروب ، ويكتب عليها بالقلم والحفظ ، ولا يأنف من مراجعة الكتب إذا أشكل عليه شيء ، ولا من تأخير الفتوى حتى يحقق أمرها ، وكان الإسنوي يتوقى الإفتاء مهابة له لكثرة ما كان ينقب

عليه في ذلك ، ودارت الفتوى على البلقيني بحيث كانت تأتيه من أقطار الأرض البعيدة ، وكان السلطان يقتدي برأيه وإشارته ، ويعدل عليه الناس في المهمات الدينية ، ولا يستغنون عنه في الأمور الدنيوية ، ويفزع إليه في حل المشكلات وكشف المعضلات ، وأثنى عليه العلماء والناس كثيراً.

مـؤلفـاتــه:

صنف البلقيني كتباً كثيرة ، أغلبها لم يتم ، لأنه كما قال الشوكاني: «ولم يكمل من مصنفاته إلا القليل ، لأنه كان يشرع في الشيء فيسعفه علمه ويطول عليه الأمر ، حتى إنه كتب من شرح البخاري على نحو عشرين حديثاً مجلدين ، وعلى الروضة عدة مجلدات تعقبات ، وعلى البدر للزركشي مجلداً ضخماً».

وهذه الكتب هي:

١ ـ **في الفقه الشافعي**: «التدريب» لم يكمله ، «حواشي على الروضة» مجلدان ، «الأجوبة المرضية عن المسائل المكية» «تصحيح المنهاج» ستة مجلدات.

٢ ـ **في الحديث**: «محاسن الإصلاح» أتمه ، «مناسبات تراجم البخاري» «شرحان على الترمذي» «شرح البخاري».

٣ ـ **في التفسير**: «حواشي الكشاف للزمخشري».

٤ ـ **في أصول الدين وأصول الفقه**: «منهج الأصلين» لخص فيه مسائل أصول الدين وأصول الفقه.

وفــاتــه:

توفي البلقيني بالقاهرة سنة ٨٠٥هـ/١٤١٣م ، ودفن بمدرسته التي أنشأها بحي الشعرية ، ورثاه الحافظ ابن حجر بقصيدة طويلة ، واعترف له بالاجتهاد ، وصلى عليه ولده جلال الدين عبد الرحمن ، فرحمه الله

تعالى ، وطيب ثراه ، ونفع الناس بعمله ، وعوض المسلمين في كل عصر خيراً[1].

* * *

(١) الأعلام للزركلي ٥/٢٠٥ ، ٣/٢٧٩ البدر الطالع للشوكاني ١/٥٠٦ ، حسن المحاضرة للسيوطي ١/٣٢٩ ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٧/٥١ ، الضوء اللامع للسخاوي ٦/٨٥ ، ذيل تذكرة الحفاظ لأبي المحاسن الحسيني والسيوطي. ص٢٠٦ ، ٣٦٩ ، الفتح المبين ٣/١٠.